

الدولة اليهودية:

الصراع بشأن روح إسرائيل*

The Jewish State: The Struggle for Israel's Soul

Yoram Hazony

New York: Basic Books, 2000. 432 pages. \$28.00 cloth.

يورام حازوني شخصية معروفة جيداً في أوساط الجناح اليميني لليهود الأميركيين والإسرائيليين. فقد ظهر أولاً كصوت يميني واضح نادر في عالم فكري يسوده اليسار الصهيوني. لكنه فقد بعض فرادته بعد التطورات التي حدثت منذ أيلول/سبتمبر 2000، إذ إن نوع الصهيونية اليمينية (أو الصهيونية الجديدة) الذي يمثله أصبح التيار السائد في إسرائيل وضمن المجتمع اليهودي الأميركي. إنه تفسير للصهيونية متطرف وعرقي وكاره للأجانب، وموقف أيديولوجي يتبناه بنيامين نتنياهو وأريئيل شارون، ويؤيده اليوم بصورة سلبية حزب العمل وما كان يدعى الصهيونية العمالية. لقد صدرت أصلاً نسخة من الكتاب بالعبرية قبل بضعة أعوام رداً على [ظاهرة] ما بعد الصهيونية (Post-Zionism)، ورأى فيها حازوني، ولم يكن وحيداً في ذلك، أن النقد اليهودي الداخلي والإسرائيلي للصهيونية، أو "ما بعد الصهيونية"، هو حركة ثقافية قوية وخطرة سوف تسود المجتمع اليهودي الإسرائيلي في نهاية المطاف. وفي ذلك الوقت، لم تحظ أفكاره سوى بدعم قليل في أوساط المثقفين الإسرائيليين، الذين اعتبروه "نكتة" في أحسن الأحوال، ومتعصباً في أسوأها. ولعل هذا الموقف هو الذي دفعه إلى تأليف نسخة بالإنكليزية على أمل أن يروق للجمهور اليهودي الأميركي ويحظى بدعمه. وجاءت النتيجة عملاً صهيونياً جديداً متماسكاً، يجب أن يُنظر إليه بجد في ضوء التغيرات السياسية في "العلاقات" الإسرائيلية - الفلسطينية، باعتباره يمثل الفهم الصهيوني السائد حالياً للماضي والحاضر والمستقبل.

يبدأ الكتاب بهجوم مباشر على "ما بعد الصهيونية". ولا يميز حازوني بين الصهيونيين وغير الصهيونيين: كل من يرفض الاعتقاد بالحق اليهودي الحصري في كل فلسطين وبالتماثل بين الدين والقومية هو "ما بعد صهيوني". وهو يرى أن "ما بعد الصهيونية" مرض خطر يمكن أن يؤدي إلى قتل الشعب اليهودي في النهاية - ومن هنا العنوان الفرعي للكتاب "الصراع بشأن روح إسرائيل". ويؤكد حازوني أن المرض

* المصدر: *Journal of Palestine Studies*, vol. xxxi, no. 2 (Winter 2002), pp. 91-92.

بلغ أكثر مراحل خطورة في اتفاق أوسلو. ويبدو أنه يفترض أن مريضه سُفي الآن بعد انهيار عملية أوسلو. ومن المثير للاهتمام أن المؤلف يُدرج كثيرين من الصهيونيين المتحمسين، وخصوصاً من أوساط الصهيونية العمالية، في انتقاده لـ "ما بعد الصهيونية". ويبدو أنه بحاجة إلى القيام بذلك لأن "ما بعد الصهيونية" تكون من دونهم ظاهرة محدودة جداً. وحصر "تعريفه" لـ "ما بعد الصهيونية" بحفنة من المثقفين، الذين يعتبرون أنفسهم كذلك، من شأنه أن يجعل كتاب حازوني سخيلاً، إذ سيبدو المؤلف كما لو أنه يعتقد أن شخصاً، مثل كاتب هذه المراجعة، يملك منفرداً القدرة على تدمير المشروع الصهيوني في فلسطين.

القسم الثاني من الكتاب رحلة إلى الماضي بحثاً عن تفسير تاريخي لما يسميه حازوني "الوضع الراهن" للشعب اليهودي. ومن نافلة القول إنه يرى أن هذا الوضع يهدد اليهود، أينما كانوا، بالتحلل والتفكك شبه التام كشعب. وتقود الرحلة حازوني إلى بداية الصهيونية ليكتشف أن "ما بعد الصهيونيين" كانوا موجودين آنذاك، وأنهم على الرغم من رفضهم للصهيونية من أجل العالمية، شغلوا مواقع مهيمنة في الحركة الصهيونية. ويزعم أن جرثومة "ما بعد الصهيونية" هاجمت مؤسس الصهيونية تيودور هيرتسل، الذي عرض في لحظة ضعف سنة 1903 إنشاء دولة يهودية في أوغندا. وقد أصاب مرض هيرتسل الوراثي الأجيال التالية بشدة وقوة أكبر: أوغندا "تركت ندوباً لم تُشف قط تماماً. بل هناك في يومنا هذا من لا يزال يشير إلى استعداد هيرتسل المزعوم للتضحية بصهيون كسابقة تدعم جهودهم لاقتلاع المفاهيم الوطنية اليهودية التقليدية ورموزها وقيمها من الحياة العامة للدولة اليهودية" (ص 150).

وتتواصل تفسيرات حازوني السخيفة للتاريخ بقيامه بوضع شجرة نسب لـ "ما بعد الصهيونيين" تجمع ما بين مارتن بوبر وأرثر روبين و"ما بعد الصهيونيين" المعاصرين. وتبرز فكرة رئيسية: إن الهجوم الأسوأ والأخطر على الدولة اليهودية - على حقها الحصري في فلسطين والحاجة إلى أن تُحكَم كدولة دينية يهودية - جاء دائماً ممن يصفهم حازوني، باحتقار، بـ "المثقفين وأساتذة الجامعات". وبعضهم، مثل يهودا ماغنس، لم يتردد - كما يقول - في التخلي عن المشروع الصهيوني في أثناء الهولوكوست.

لقد كُتب الكتاب وخاتمته بينما كانت حكومة إسرائيل لا تزال تسعى وراء العملية السلمية. لذا بدا لحازوني أن مارتن بوبر وأمثاله من دعاة "ما بعد الصهيونية" كسبوا المعركة. لكن عزيمة حازوني لم تثبط، فقدم أفكاره في شأن ما يجب عمله كي تعاود الصهيونية "الحقة" الظهور ظافرة: إلغاء التفكير الحر والشامل في الأوساط الأكاديمية الإسرائيلية، وإغلاق أي نافذة مفتوحة على التواصل مع وجهات النظر البديلة، وتغطية الحياة الثقافية في إسرائيل بغطاء الصهيونية الحديثة الثيوقراطية الكفيل بحجب أي

صوت معارض في البلد. وربما يحصل حازوني على فرصة تطبيق بعض أفكاره في المناخ الجديد الذي ظهر في إسرائيل. فلديه أصدقاء أقوياء في أوساط الجناح الصهيوني اليميني، ويجب ألا يفاجأ المرء إذا ما أصبح ذات يوم وزيراً للثقافة يملك العزم والتصميم على سحق ما تبقى من التعددية النسبية التي ظهرت في فترة ازدهار "ما بعد الصهيونية" (1993 - 2000) في إسرائيل.

إعلان بابه

أستاذ العلوم السياسية

في جامعة حيفا

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>